معجزة الحب [*]

الأديبة الفاضلة السيده ماهرة النقشبندي هي شقيقة الشاعرة ، فطينة النائب ، غير انهـا على عكس شقيقتها ، ناثرة ممتازة ، وطالما نشرت لها أمهات الصحف العربية ، قصصاً موضوعة ومترجمة عن الانجليزية ، دلت على ما تمتاز به اديبتنا هـذه من موهبة وقابلية فائقة في عالم النثر ...

والبيـان التي تتوفق للجمع بين هاتين الشقيقتين ، فطينة الشاعرة وماهرة الناثرة في هـذا الصعيد ، ليسرها ان تقدم شكرها للأديبة الفاضلة التي وعدت بأنها ستماشي اختها في مواصلة نشر نتاجها الرفيع ، تلك شعراً وهذه نثراً ، فحيا الله المرأة العراقية ...

البيـان

ان قصصا كثيرة — ايتها السيدات الجميلات — تتزاحم بالمناكب في ذاكرتي وكلها تصلح لبداية القصص لهذا اليوم السعيد ، إلا أن واحدة من بينها تكاد تفرض نفسهـا علي فرضاً ليس بحكم ما فيها من حب ينتهي بالسعاده وانما بحكم ما تبتدي فيها قداسة الحب وجبروته وفائدته لبني الانسان ذلك الحب الذي كثيراً ما تدنس قداسته تلك المخلوقات التي لها جلود بني آدم وطبائع الحيوان ، واذا استطاعت هـذه القصة أن تملأ بعظمة الحب نفوسكم فقد وفقت الى خير كثير.

كان يعيش في جزيرة قبرص منذ عهـد سحيق نبيل يدعى ارستيوس آتاه الله الثروة والعافية ، وكاد ان يكون اسعد الناس لو لا ما كان يصطرع في نفسه من الم مكبوت وحسرة طوى قلبه عليها . كان كل ذلك ينغص عليه حياته ويجعلها لوناً من الحرمان وضرباً من ضروب الشقاء ، يفعل فعل البركان داخل الارض قبل ان تجد حممه الطريق الى سطحها .

ومرد ذلك الى ان اجمل اولاده واقواهم جسماً ، قـد حرمته العنـاية الالهية من نعمة الذكاء ، وذهبت ادراج الرياح تلك المحاولات الفاشلة التي حاولها ابوه ليعوضه عن طريق العلم ما لم يكن من نصيبه عن طريق الفطرة . كان يسمى جاليسيوس وكان في طباعه وعلاقته مع الناس اقرب ما يكون الى الوحش المفترس منه الى الانسـان ، ولذلك لقبه الناس من ابناء موطنه بـ «سيمون» وهي لفظة معناها شديد الوحشيه في لسانهم . وضاق والده ذرعاً بحاله ، فرأى ان يبعده الى مزارعه الكثيرة تخلصاً من عذاب رؤيته صباح مساء . وانتقل سيمون الى تلك المزارع وراقت له الحيـاة الخشنة التي يحياها الناس مع الطبيعة وجهاً الى وجه ، واخذ يدور بتلك المزارع وكان الوقت فصل الربيع وقادته المصادفه الى حقل متخضر قـد غطته الاعشاب وقامت على اطرافه اشجار باسقة ، تصدح على افنانها الطيور ، وجرى من طرفه القصي جدول رقراق له خرير كهمس العاشق الواله ومد بصره فرأى حول الجدول اشباحاً اقترب منها فابصر فتاة في ميعة العمر نائمة فوق العشب ، قد لبست غلالة شفافة كانها نسجت من اشعة القمر ، ابانت كل محاسنها وراحت النسائم تداعب شعرها الذهبي الجميل فتعبث به وتنثره على جبينها الناصع ، وبدا نهداها فاتنان يرتفعان ويهبطان مع انفاسها العطرة ... ورأى امرأتين ورجلا ينامون على مقربة منها . لقد فتنته الفتاة وكأنه لم ير امرأة قبلها ، واتكأ على عصاه واخذ يتامل بامعان ، شعرها وفمها ووجهها وجيدها وذراعاها ونهداها ، لكنه لم ير عينيها اللتين اثقلها النعاس

---

[*] للكاتب الايطالي القصصي العظيم جيوفاني بوكوشيو وهي القصة الأولى من اليوم الخامس من كتابه دي كامرون الذي تعمل الكاتبة على إخراجه لقراء العربية قريباً ... وقد نشرت مقدمته في مجلة الرسالة الغراء ...

فانطبقتا واخفتا الجمال المجهول . وانقلب في لحظة من وحش كاسر الى انسان رقيق الشعور يتذوق الجمال ويفهمه انه يريد ان يرى عينيها . . . لكنها نائمة . . . وقد حاول مراراً عديدة أن يوقظها ليراها . . . . لكن جمالها الأخاذ جعلها تبدو في عينيه كاملة لا تمت الى البشر بصلة فتركها لتصحو من تلقاء نفسها ، وأخذ ينتظر ، وبعد صبر طويل خاله الدهور فتحت { افيجينيا } عينيها وابصرت سيمون وقد اتكأ على عصاه وهو يأكلها بنظرات شرهة فيها معان ومعان فسألته عن مأربه ، وكانت تعرف مكانة والده الاجتماعية وتعرف شراسته ووحشيته . لم يجب عن سؤالها وراح يتملى من جمال عينيها واحس كأن سيلا من السحر فاض منها وملأ روحه بشعور لذيذ لا يعرف كنهه . . . . وذعرت الفتاة وخافت ان يؤذيها فايقظت رفاقها وعبثا حاولت صرفه بالتي هي احسن ، ولكنه أصر على مصاحبتها وحراستها حتى اوصلها الى بيتها في المدينة التي يسكن فيها والده . ولم يعد الى المزرعة وانما عاد الى اهله وقد راعهم ذلك ، واذاهم ايذاءً شديداً ، لكنه كان هادئاً لطيفا وطلب ان تعد له ملابس انيقة كاخوته ، وخلع . ملابسه الرثة القذرة . لقد نفذ الحب الى قلبه فازال عن بصيرته تلك الغشاوة التي لم يستطع التعليم ازالتها . واقبل على العلم يغترف منه ، وتعلم الفروسية والقتال والعزف على الآلات الموسيقية . وما كادت تمر اربع سنوات على لقائه { افجينيا } حتى اصبح مضرب المثل في قبرص في الاناقة والذوق والشهامة والفروسية وغدا فنانا لا يشق له غبار في الموسيقى والشعر . لقد تمت المعجزة والحب يصنع المعجزات . ولم يدرك والده واهله الباعث على هذا الانقلاب ، وقد حمدوا الله وقدموا له القرابين . وذاع تدله سيمون بافجينيا بين سكان المدينة ، كما يحصل عادة للشبان ، وعبثاً حاول اصحابه ان يدعوه باسمه القديم جاليسيوس لكنه أبى ذلك واصر على ان يدعى بنفس الاسم الذي نادته به { افجينيا } عندما راها للمرة الاولى - سيمون - ذلك الاسم الذي يحمل معاني السخرية والازدراء ليبرهن لها على انه اهلا لحبها .

وحاول اهله خطبة { افجينيا } له ، مراراً عديدة وكانت جميع محاولاتهم تبوء بالفشل ، لان والده سيبسيوس كان يرفض ذلك لان ابنته مخطوبة لنبيل رودسي يدعى باسيموندار ولا يرى مبرراً لفسخ هذه الخطوبة .

وازفت الساعة ، واقترب اليوم الذي ستزف فيه افيجنيا الى زوجها في جزيرة رودس . وحضرت السفينة التي سيتقرر فيها مصير سيمون انه يحبها حباً ملك عليه قلبه وجنانه انها هي التي خلقت منه رجلا على البعد ، وسيجعله عظيما ان حصل عليها . . . ان زواجها لا يعني غير موته . . . ولن يقوى على مواجهة الحياة وهي بعيدة عنه . وصمم اخيراً على ان يأخذها من البحر بأي ثمن كان ، واعد سفينة جهزها بما هو ضروري للقتال ، وتطوع عدد كبير من اصدقائه لمساعدته واقلعت السفينة بهم وراحوا يرابطون في عرض البحر ولم يطل بهم الانتظار ولاحت من الافق البعيد سفينة افيجنيا ، ولما حاذاها أعلن سيمون طلبه تسليم السفينة بكل ما فيها والا كان مصيرها الغرق والدمار . فاجابه الرودسيون انهم على استعداد للمعركة وحاولوا الابتعاد عنه هرباً ، لكنه لم يتح لهم الفرصة فضاعف سرعة التجديف زيادة على دفع الريح حتى اقترب منها وقفز الى سطحها مع عدد من اصحابه الشجعان ودارت بينهم معركة حامية الوطيس استبسل فيها سيمون استبسالا جعل خصومه يلقون باسلحتهم مستسلمين ، يطلبون الرحمة ، ولم يكن سيمون يطمع في شيء وانه لا يريد غير افجينيا . . فقال للرودسيين انه يؤمنهم على ارواحهم وعلى ما تحمل السفينة من ثروة بشرط ان يأخذ افجينيا التي يحبها ، فسلمها اليه الرودسيون مكرهون وهي تنشج بكية فاخذها الى سفينته وراح يواسيها ويذكرها بما صنعت به اذ جعلت منه رجلا تتحدث الدنيا باسمه ، لكنها لم تنصت له وبقيت في حزن متواصل . ولم يمس الرودسيين باذى وسمح لهم بالرحيل ، وقرروا اصحابه التوجه الى جزيرة { كريت } حيث لهم اصحاب يؤونهم ويقومون بمساعدتهم .

لكن القدر شاء ان يحرم سيمون من لذة الانتصار في اسعد ساعاته ، فهاج البحر وماج وهبت عواصف مدمرة

جعلت السفينة كريشة في مهبها واظلمت الآفاق ولم يعد المرء يبصر راحة يده ، فضاعف ذلك الم [اخيمنيا] ، والم سيمون واصحابه ، وراحت هي تلومه اشد اللوم على فعلته النكراء وتنذره بعقاب من الله شديد وانصت اليها وقد راعه ما وجد في حديثها من صدق وثار ضميره عليه وتسلل الى نفسه الخوف لا على نفسه بل عليها من الغرق المحتم والمصير المؤلم الذي ينتظرهم جميعاً .... وندم ولات ساعة مندم .... واستسلم للقدر يصنع به ما يشاء ونفخت الشياطين في الامواج والرياح وقهر الظلام الكون فسارت السفينة على غير هدى ، وأفاق الملاحون من ذهولهم فرأوا انهم يندفعون الى جزيرة ، وكان الفجر يطل من الافق الشرقي فابصروا خليجاً وسفناً فاخذوا طريقهم الى جانب من الخليج . . . ورست السفينة وارتفعت الشمس وانقشعت الغيوم عن وجه السماء فابصروا بالسفينة التي اخذوا منها [اخيمنيا] راسية على مقربة منهم فراعهم ذلك وتلفت اليهم ركابها فعرفوهم وهرع عدد منهم الى البر يطلبون النجدة ويبلغون السلطات خبر تلك القرصنة في عرض البحر . وراح سيمون ورجاله يبذلون اقصى جهدهم للخروج بالسفينة من الخليج ولكن الرياح الصارمة كانت اقوى منهم فساقتهم غير بعيد على شاطيء من الخليج فاضطروا الى البقاء ونزلوا الى البر يتوارون في غابة مجاورة وتقاطر الناس من كل فج عميق وساقوا سيمون ورجاله [واخيمنيا] الى القضباء واودعوهم السجن وحكم عليهم بالسجن المؤبد ، بعد ان جهز باسيموندا خطيب [اخيمنيا] ان يكون نصيبهم الموت ، ولكن المحكمة اخذت بعين العطف عدم قتله رجال السفينة عندما انتصر عليها .

وكان فرح باسيموندا عظيماً حينما عادت اليه خطيبته وقد رحبت بها السيدات واخذنها الى قصر بعيد لتسترد صحتها من اثر الصدمات النفسية والجسدية التي منيت بها في طريقها الى خطيبها ، حتى يحين يوم زفافها .

وكان لباسيموندا شقيق يدعى هور ميسداس قد عقد خطبته على فتاة رودسيه جميلة تدعى كسندرا منذ زمن بعيد وحالت اسباب كثيرة دون اتمام هـذا الزواج ، ورأى باسيموندا ان من الخير ان يحتفلا بزواجهما في يوم واحد مضاعفة للافراح وتوفيراً للمال ، وفاتح اخاه واهل الفتاة وتم كل شيء واخذت كسندرا تستعد للزواج .

وكان القاضي ليسياكيوس الذي حكم على سيمون واصحابه بالسجن المؤبد مدله القلب يحب كسندرا ويأمل ان يحظى بها ، فوقع النبأ عليه وقوع الصاعقة ، واظلمت الدنيا في عينيه وكأي رجل حكيم راح يقلب الامر على وجوهه فلم ير خيراً من الهرب للفوز بها . وبينما كان يفكر في طريقة الفرار وعلى من يعتمد في تسيير الامور تذكر سيمون ورأى انه خير من يعتمد عليه في هذه الحالة ، فارسل من احضره ليلا الى حجرته وراح يحدثه بادىء ذي بدء عن اثر الحب في انماء روح البطولة في الانسان وكيف ان الله يختبر المحب ليرى بمقدار ثباته ، فاذا برهن على الوفاء والمضي الى نهاية الشوط مخلصاً لا يتغير شعور الحب في قلبه ، فانه يعد له السعادة ويكافأه على ذلك الصبر والإخلاص . واطرى بعد ذلك بطولته وشجاعته واخبره انه زواج باسيموندا [باخيمنيا] ليس ضربة موجهة الى قلبه فحسب وانما هنالك ضربة مماثلة ستوجه الى قلبه في نفس اليوم . ثم حدثه عن غرام بكسندرا وكيف ان زواجها سيتم في نفس اليوم على أخ باسيموندا وقال انه ليس لنا الا السيوف فاما ان نفوز بمن نحب واما ان نهلك دون ذلك فنموت مخلصين للحب شهداء ، فهل تعاهدني على خطف الفتاتين في الوقت الذي سارتبه ترتيباً دقيقاً في ليلة الزفاف ولم يكن احب من ذلك الى سيمون ففاض قلبه فرحاً وعاد الى السجن ينتظر الساعة التي سيدعى فيها واعد ليسياكوس السفينة والرجال والسلاح وفي ليلة الزفاف اطلق سراح سيمون ورفاقه وسلحهم ومزجهم مع رجاله وقسمهم الى ثلاثة اقسام ، قسم رابط قرب السفينة وعلى رصيف الميناء ليسهل لهم الوصول الى السفينة ووضع القسم الثاني على باب القصر المتلألىء بالانوار الصادح بالانغام ، الراقص بالسعاده ومضى بالقسم الثالث وعلى رأسهم سيمون واقتحموا الباب وتسلقوا السلم وفاجأوا

[البقية على صحيفة ٨٩]